تتمّة الافتتاحيّة ص ١

المشكلة الكبرى

أما انحطاطُ الثقافة داخل أحزابنا التقدّميّة فحدِّثْ عنه ولا حرج. وقد سبق أن تطرَّقْنا إليه في افتتاحيّةٍ سابقة، لكنّنا نعيدُ التذكيرَ به هنا لكونه عاملاً أساسًا في غياب الأمل. لا أملَ من دون ثقافة. في محاضرةٍ ألقيتُها في أحد المخيّمات الشبابيّة اليساريّة الصيفَ الماضي، هالني انعدامُ الأمل لدى الشباب في قدرة العرب على أن يحقّقوا أيّ شيء! شبابُنا، للأسف، يعتقدون أنّ شعبَ جنوب أفريقيا أنجحُ منّا، وأنّ شعبَ المهاتما غاندي أقدرُ منّا على ممارسة المقاطعة التي أدّت ـ من بين أسبابٍ أخرى ـ إلى طردِ المستعمر البريطانيّ. إنّ الاستخفافَ بقدراتنا، نحن العرب، يعودُ في جزءٍ منه إلى عدم معرفةِ تجاربِ شعوبٍ أخرى نجحتْ في طردِ أكبرِ الإمبرياليّاتِ والعنصريّاتِ في العالم. إنّ الاطّلاعَ الجدّيّ على تجارب الشعوب لا بدّ أن يُعطيَ شبابَنا أملاً في أنّ شعبَنا ليس أقلَّ قدرةً على اجتراح الانتصارات. ولكنْ أين هي الأحزابُ التي تَفْرض على أعضائها قراءةَ تجاربِ الشعوبِ الأخرى؟

وأخيرًا، لا آخرًا، المتابعة. أحزابُنا، بشكلٍ عامّ، لا تتابع! كم اجتماعًا قرّرنا فيه أمورًا، بل وَزَّعْنا المسؤوليّاتِ على «الناشطين،» لنكتشفَ في الاجتماعات القادمة أنْ شيئًا لم يحصلْ، وأنّ أحدًا لم يُنجزْ ما وَعَدَ به (أو كُلِّفَ به فقَبِلَهُ حياءً)؟ والطامةُ الكبرى هي أنّنا لا نُحاسبُ المقصّرين. ولماذا لا نحاسبُهم؟ لأنّنا نخشى، إنْ فعلْنا ذلك، أن يَتْركوا «العملَ،» وكأنّهم كانوا يَعْملون أصلاً! أمّا لماذا اندثرت المتابعة، فلهذا أسبابٌ يَطُول شرحُها، أهمُّها ما سبق أن أوردناه أعلاه: غيابُ المؤسَّسة، وانحطاطُ الثقافة، وانعدامُ المحاسبة.

إنّها حلقةٌ مفْرغة. كلُّ عائقٍ يغذّي العوائقَ الأخرى، ويزيدُ في شَلَلِنا. صار الاجتماعُ هو الهدفَ. صار الحزبُ هو الغايةَ. وصارت أقدامُنا تَجرُّنا ـ بلا إرادةٍ أحيانًا ـ إلى حيث «النشاطُ» القادم: إلى حيث الإحباطُ الجديد.

بيروت

في العدد القادم

- الرواية الجزائريّة الحديثة.
- الثقافة الجديدة في المغرب.